

" الصدق "

إن الله خلق السموات والأرض بالحق ، وطلب إلى الناس أن يبنوا حياتهم على الحق ، فلا يقولوا إلا حقاً ، ولا يعملوا إلا حقاً ، وحيرة البشر وشقتهم راجعة إلى ذهولهم عن الحق والصدق ، وإذا كان التمسك بالصدق في كل أمر من أمور الحياة ، وفي كل قصة من القضايا واجب على كل مسلم ومسلمة ، وركيزة من ركائز الإيمان وركن ركين في خلق المسلم الذي يأمر به القرآن الكريم . يقول رسول الله - ﷺ - : " إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث " (١) .

وقال - عليه الصلاة والسلام - : " دع ما يربيك إلى ما لا يربيك ، فإن الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة " (٢) .

قد نهى القرآن الكريم على أقوام جريهم وراء الظنون التي ملأت عقولهم وقلوبهم ، وأفندتهم بالخرافات ، وأفسدت حاضرهم ومستقبلهم بالأكاذيب . قال تعالى : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴾ [سورة النجم: ٢٣] وفي قوله: ﴿ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرَهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنْ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة يونس: ٣٦] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [سورة النجم: ٢٨]

ولذا نرى الإسلام حارب وطارده الكذابين ، كما أنه شدد النكير عليهم ، فعن عائشة أم المؤمنين - رضی الله عنها - قالت : " ما كلن من خلق أبغض إلى رسول الله - ﷺ - من الكذب ، اطلع على أحد من ذلك فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة " (٣) . وعن عائشة - رضی الله عنها - أيضا : " ما كان خلق أبغض إلى رسول الله - ﷺ - من الكذب ولقد كان الرجل يكذب عنده الكذبة ، فما يزل في نفسه حتى يعلم أنه أحدث فيها توبة " (٤) .

ولا غرو فإن السلف الصالح كانوا يتلاقون على الفضائل ، وكانت المعالم الأولى للجماعة المسلمة صدق الحديث ، ودقة الأداء ، وانضباط الكلام . لذا حكموا فسادوا ،

- ١- رواه البخارى .
- ٢- رواه الترمزى .
- ٣- رواه الامام أحمد .
- ٤- رواه ابن حبان .

وقادوا فنجحوا ، وساسوا العالم كله سياسة الصدق والدقة والانبساط فإنبهروهم العالم ، كما أنبهر بسلوكهم وما يزل التاريخ يتحدث بصدقهم ، وأخلاقهم ، وانضباطهم وحُسن سلوكهم ، وسيرتهم الزكية العطرة وبحق كانوا مثلاً يحتذى في هذا السلوك الذى ارتقى به المجتمع المسلم .

فأما الكذب فهو من أمارات النفاق ، وأمارات انقطاع الصلة بالدين فمما لا ريب فيه أن الكذب رذيلة كبرى ، وباء عزال ، إذا ما أصيب به مجتمع من المجتمعات ، فسد ، وانحل ، وشاعت فيه الرذيلة ودرست فيه الفضيلة وأصيب بأدواء لم تكن في سابقه . ولا عذر البتة لمن يتخذون الكذب خلقاً ويعبثون على خديعة الناس . قال رسول الله ﷺ - :
 " يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب " (١)

وسئل رسول الله ﷺ - : " أياكون المؤمن جبانا ؟

- قال : نعم

- قيل له : أياكون المؤمن كذابا ؟

- قال : لا (٢)

لذا نرى القرآن الكريم يوجه المسلم إلى هذا الخلق الكريم ، كى يستقيم أمره ، ويصلح حاله وتقوى شوخته ، فى أكثر من موضع ، وأكثر من آية .

فيقول الله - عز وجل - : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ وَبِلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوَى الْمَرْبِ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذًا عَاهَدُوا وَالصَّٰدِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَّءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ؕ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]

والمعنى : ليس البر وعمل الخير ، وفعل الطاعات محصوراً في أن يتوجه الإنسان في صلاته جهة المشرق أو جهة المغرب ، ولكن البر الصحيح هو : الإيمان بالله ، واليوم الآخر والملائكة والنبين والكتب المنزله من الله - سبحانه وتعالى - على أنبيائه ، ويعطى وينفق المال على محبته له ، وحرصه على جمعه ، لذى القربى واليتامى والمساكين ، وأبناء السبيل ، وهم المسافرون الذين انقطع عنهم المال ، والذين يسألون المعونة بدافع الحاجة ، كما ينفقه أيضاً في فكك الأسرى من أسرهم ، والعبيد الأرقاء بالفداء ، وقام بأداء الأركان ومن أهمها

١- رواه الامام احمد .

٢- رواه الامام مالك .

" الصلاة " و" الزكاة " والذين يوفون بالعهود ، ولا يخلفون الوعود والصابرين على الشدائد ، وحين القتال في سبيل الله .

من كانت هذه صفاتهم ، وأوصافهم هم الذين صدقوا في إيمانهم وأولئك هم الكاملون في التقوى ، وأصحاب الإيمان الصادق ، الموفون بعهودهم . وفي الآية " ثناء ومديح " للأبرار ، وإيحاء إلى ما يلاقونه من إطمئنان وخيرات حسان . ويقول أصحاب اللطائف :

" وما ذكر في هذه الآية من وجوه الإحسان وفتونه ، ووجود قضايا الإيمان وإيتاء المال ، وتصفية الأعمال ، وصلة الرحم ، والتمسك بفنون الذم والعصم والوفاء بالعهود ومراعاة الحدود وعظيم الأثر ، كثير الخطر ، محبوب الحق شرعا ومطلوبه أمراً لكن قدام الحق عنك بعد فناءك ، وامتحانك من شاهدك واستهلاكك في وجود القيد ، وتعطل رسومك عن مساكنات إحساسك - أنت وأعلى في المعنى ؛ لأن التوحيد لا يُبقي رسماً ولا أثراً ، ولا يغادر غيراً ولا عبراً والغير هو السوى ، والغير فهو معروف .

وهناك خلاف بين العلماء في أن هذا الخطاب عام أو خاص ، والصحيح والراجح أنه عام ينتظم جميع المسلمين في كل زمان و مكان ، فهو خطاب عام .

والبر يشمل جميع الطاعات قال تعالى :- ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ [سورة الانفطار: ١٣: ١٤] فجعل البر ضد الفجور .

وقال تعالى :- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُجْلُوًا شَعْبِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَتْلَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْعُونَ فَمَصَلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرَضُونَ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة المائدة: ٢] .

وعدوا البر بتحقيق ماهيته في أمور خمسة هي :-

أولها : الإيمان بالله .

ثانيتها : إيمان باليوم الآخر .

ثالثها : الإيمان بالملائكة .

رابعها : الإيمان بالكتب .

خامسها : الإيمان بالرسول .

وأهل هذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم . ولذا قال بعضهم هذه الصفة خاصةً للأنبياء - عليهم السلام - ، وقال آخرون هذه عامةٌ في جميع المؤمنين .

ونحن نرى أنها عامة في جميع المؤمنين في كل زمان ، وفي كل عصر ، كما أومأنا إلى ذلك آنفاً (١).

ويقول الحق - سبحانه وتعالى - : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة المائدة: ١١٩] .
والمعنى إن يوم القيامة ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة ويوم الجزاء ، يوم يقف الناس في عرصات القيامة للحساب والجزاء .

وفي ذلك اليوم ينفع الذين صدقوا في دنياهم صدقهم في هذا اليوم وجزاء صدقهم في دنياهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، يعني من تحت غرفها وأشجارها ما كتبت فيها لا يخرجون منها أبدا ، وبذلك يكونوا قد نالوا رضا ربهم جزاء صدقهم في الدنيا ، وهم أيضا قد رضوا عن ربهم حيث جازهم ما وعدهم به في كتابه العزيز إنه الفوز الكبير برضوان الله - سبحانه وتعالى - وهذا الرضوان ، وذلك الفوز :
هو جنات تجري من تحتها الأنهار حيث أن الجميع ملكه ، وتحت سلطانه وقهره ، ومشيتته ، وهو القادر على كل شيء .

ويقول الإمام " القشيري " : " مَنْ تَعَجَّلَ مِيرَاثَ صَدَقِهِ فِي دُنْيَاهُ مِنْ قَبُولِ حَصَلٍ لَهُ مِنَ النَّاسِ ، أَوْ رِيَاسَةٍ عَقَدَتْ لَهُ ، لَهُ أَوْ نَفَعٍ وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ جَاهِ أَوْ مَالٍ . فَلَا شَيْءَ لَهُ فِي آجَلِهِ مِنْ صَوَابِ صَدَقِهِ ، لِأَنَّ الْحَقَّ - سَبْحَانَهُ - نَصَّ بِأَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْفَعُ فِيهِ الصَّادِقِينَ صِدْقَهُمْ .

قوله جل ذكره : { ...رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ... } .
ورضاء الحق - سبحانه - إثبات محل لهم ، وتناؤء عليهم ومدحهم لهم ، وتخصيصهم بأفضاله وفضله ونواله . ورضاءهم عن الحق - سبحانه في الآخرة وصولهم إلى مناهم ؛ فهو الفوز العظيم والنجاة الكبرى .

ويقول " القرطبي " : " قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم " أي صدقهم في الدنيا فأما في الآخرة فلا ينفع فيها الصدق وصدقهم في الدنيا يحتمل أن يكون صدقهم في

1- التفسير الكبير المسمى " نفاتيح الغيب " للإمام فخر الرازي ج ٣ ، ص ٨ - ٢٤ بتصرف .

□ صفوة التفاسير للصابوني ج ١ ، ص ١١٥ وما بعدها بتصرف .

□ لطائف الإشارات ج ١ ، ص ١٤٩ .

□ خلق المسلم للإمام العصر الحديث المغفور له الشيخ محمد الغزالي ص ٣١ وما بعدها بتصرف .

العمل لله ويحتمل أن يكون تركهم الكذب عليه وعلى رسله، وإنما ينفعهم الصدق في ذلك اليوم وإن كان نافعاً في كل الأيام لوقوع الجزء فيه.

وقيل: المراد صدقهم في الآخرة وذلك في الشهادة لانبيائهم بالبلاغ وفيما شهدوا به على أنفسهم من أعمالهم ويكون وجه النفع فيه أن يكفوا المؤخدة بتركهم كتم الشهادة فيغفر لهم بإقرارهم لانبيائهم وعلى أنفسهم .

ونحن نرى أن المراد بالصدق في الآية وفي غيرها من الآيات التي تذكر الصدق، والصادقين، والصادقات هو الصدق في الدنيا، مع الله، ومع الناس وفي العبادات، والمعاملات، وجميع الأعمال المنوطة بالمسلم، وكل التكاليف وجميع الأوامر، والنواهي الواردة في القرآن الكريم والسنة. لذا كان جزؤهم في الآخرة جنات تجري من تحت غرفها الأنهار، وتجرى أيضاً من تحت اشجارها الأنهار، وما ذلك إلا لأنهم صدقوا الله ورسوله وصدقوا في كل أعمالهم، وافعالهم وحركاتهم، وسكناتهم، وفي نومهم ويقظتهم وسرهم وجهرهم. ثم بين الله - عز وجل - ثوابهم في الآخرة أيضاً أنه راض عنهم، راضون عنه وذلك بالجزء الذي أثابهم به. وذلك الظفر العظيم خيراً، الكبير نفعه، العظيم ثوابه.

ويقول "ابن كثير" - رحمه الله تعالى - في هذه الآية: "عن ابن عباس يقول: يوم ينفع الموحدين توحيدهم.

﴿...لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا...﴾ [سورة التوبة: ١٠٠] أي لهم جنات تجري من تحتها ومن تحت اشجارها: ماكين فيها لا يحولون ولا يزولون، رضي الله عنهم ورضوا عنه، كما قال تعالى: {... وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ...} [سورة التوبة: ٧٢]، فعن أنس مرفوعاً قال: قال رسول الله - ﷺ -: "ثم يتجلى لهم الرب تعالى فيقول: سلوني سلوني أعطكم".

قال: "فيسألونه الرضا، فيقول: رضاي أحلكم داري، وأنا لكم كرامتي فسلوني أعطكم. فيسألونه الرضا"، قال: "فيشهدهم أنه قد رضي عنهم".

وقوله: {... ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ...} [سورة التوبة: ٧٢] أي: هذا هو الفوز الكبير الذي لا أعظم منه كما قال تعالى: - ﴿لِيَسْلُبَ لِمَنْ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾ [سورة الصافات: ٦١].
وكما قال: ﴿... وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾ [سورة المطففين: ٢٦].

هو- سبحانه وتعالى- الخالق للأشياء، المالك لها، المتصرف فيها القادر عليها، فالجميع ملكه وتحت قهره، وقدرته وفي مشيئته، فلا نظيره ولا وزير ولا عديل، ولا والد ولا ولد ولا صاحبه، فلا إله غيره، ولا رب سواه، ولا معبود بحق غير، (١)

وفى معنى الصدق يقول المولى :- ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٥] والمعنى: حقيق علي، يعني واجب. ومن قرأ "علي ألا" فالعنى حريص على ألا أقول، وفي قراءة "عبد الله" حقيق ألا أقول "وذلك باسقاط" علي "وقيل" علي "بمعنى الباء أى حقيق بإلا أقول وكذلك فى قراءة "أبى" والأعمش "بإلا أقول، كما تقول رميت بالقوس وعلى القوس، فحقيق على هذا يعنى "محقوق" فأرسل معى "بنى إسرائيل" أى خلهم، وكان يستعملهم فى الأعمال الشاقة.

ويقول صاحب الظلال: "فما كان الرسول الذي يعلم حقيقة الله، ليقول عليه إلا الحق، وهو يعلم قدره؛ ويجد حقيقته - سبحانه - فى نفسه.

{ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ } .

تدلكم على صدق قولي: إني رسول من رب العالمين.

وياسم تلك الحقيقة الكبيرة.. حقيقة الربوبية الشاملة للعالمين.. طلب موسى من فرعون أن يطلق معه بني إسرائيل.. إن بني إسرائيل عبيد لله وحده؛ فما ينبغي أن يعبدهم فرعون لنفسه! إن الإنسان لا يخدم سيدين، ولا يعبد إلهين. فمن كان عبداً لله، فما يمكن أن يكون عبداً لسواه. وإن كان فرعون إنما يعبد بني إسرائيل لهواه؛ فقد أعلن له موسى أن رب العالمين هو الله. وإعلان هذه الحقيقة ينهي شرعية ما يزوله فرعون من تعبيد بني إسرائيل!

إن إعلان ربوبية الله للعالمين هي بذاتها إعلان تحرير الإنسان.

تحريره من الخضوع والطاعة والتبعية والعبودية لغير الله.

تحريره من شرع البشر، ومن هوى البشر، ومن تقاليد البشر، ومن حكم البشر.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢، ص ١٢١-١٢٢ بتصرف.

□ تفسير القرطبي ج ٤، ص ٢٣٧٦ بتصرف.

□ لطائف الاشارات للامام القشيري ج ١، ص ٤٥٨ بتحقيق وتقديم وتعليق الدكتور ابراهيم بسبوني ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨١ م.

□ صفوة التفاسير ج ١، ص ٣٧٥ بتصرف.

وإعلان ربوبية الله للعالمين لا يجتمع مع خضوع أحد من العالمين لغير الله؛ ولا يجتمع مع حاكمية أحد بشرية من عنده للناس.. والذين يظنون أنهم مسلمون بينما هم خاضعون لشريعة من صنع البشر - أي لربوبية غير ربوبية الله - واهمون إذا ظنوا لحظة واحدة أنهم مسلمون! إنهم لا يكونون في دين الله لحظة واحدة وحاكمهم غير الله، وقانونهم غير شريعة الله. إنما هم في دين حاكمهم ذلك. في دين الملك لا في دين الله! وعلى هذه الحقيقة أمر موسى - عليه السلام - أن يُلي طلبه من فرعون إطلاق بني إسرائيل: "يا فرعون إني رسول من رب العالمين..." "فارسل معي بني إسرائيل"... مقدمة ونتيجة.. تتلازمان ولا تفتقران.

ولم تغب على فرعون وملئه دلالة هذا الإعلان. إعلان ربوبية الله للعالمين.. لم يغب عنهم أن هذا الإعلان يحمل في طياته هدم ملك فرعون. وقلب نظام حكمه وإنكار شرعيته وكشف عدوانه وطغيانه.. ولكن كان أمام فرعون وملئه فرصة أن يظهر! موسى بظهر الكاذب الذي يزعم أنه رسول من رب العالمين بلا بينة ولا دليل:

"قال: إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين" .. ذلك أنه إذا اتضح أن هذا الداعية إلى ربوبية رب العالمين كاذب في دعواه؛ سقطت دعوته وهان أمره؛ ولم يعد لهذه الدعوة الخطيرة من خطر - وصاحبها دعوى لا بينة عنده ولا دليل! ولكن موسى يجيب: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٢٣﴾ وَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الشعراء: ٢٣-٢٤] فكانت الآية بإلقاء العصي! فإنقلبت ثعباناً لا شك في ثعبانيتها.. وكما قيل في سورة أخرى: ﴿...فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٥﴾﴾ [سورة طه: ٢٥] ثم إن يده السمراء - وقد كان موسى - عليه السلام - أسمر اللون أي مائلاً إلى السمرة - يخرجها من جيبه فإذا هي بيضاء من غير سوء، بيضاء ليست عن مرض، ولكنها المعجزة، فإذا أعادها إلى جيبه عادت سمراء! هذه هي البينة والآية على الدعوى التي جاء بها موسى إني رسول من رب العالمين.

هذا هو الصدق الذي يعد من شيم الأنبياء والمرسلين ومن شيم المسلمين الأتقياء، والمؤمنين الأصفياء، فالصدق منجاة لهم جميعاً^(١).

1- في ظلال القرآن الكريم ج ٣، ص ١٣٤٦.

□ القرطبي ج ٤، ص ٢٦٩٣.

□ حاشية الشهاب على البيضاوي ج ٤، ص ٢٠٠.

وفي فضيلة الصدق يقول الحق - سبحانه وتعالى - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ [سورة التوبة: ١١٩]

والمعنى : هم الصادقون في ايمانهم فلم يكونوا من المنافقين ، أومع الذين لم يتخلفوا، أومع الذين لأنه صدقوا في دين الله نبيةً ، وتولاً ، وعملاً ، والآية تدل على أن الاجماع حجة لأنه أمر بالكون مع الصابرين فلزم قبول قولهم ، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّوِّفُ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُوكَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا أَكَبَّ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَلِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ [سورة التوبة: ١٢٠]

والمراد بهذا النفي " النهي " وخص هؤلاء بالذكر وإن استوى كل الناس بذلك لقربهم منه ، ولا يخفى عليه خروجه .
ويقول " القرطبي " : " هذا الامر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين .

قال مطرف: سمعت مالك بن أنس يقول: كلما كان رجلاً صادقاً لا يكذب إلا مُعِّعٌ بعقله ولم يصبه ما يصيب غيره؛ من الهرم والخرف. واختلف في المراد هنا بالمؤمنين والصادقين على أقوال، فقيل: هو خطاب لمن آمن من أهل الكتاب. وقيل: هو خطاب لجميع المؤمنين، أي اتقوا مخالفة أمر الله.

"....وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ...."

أي مع الذين خرجوا مع النبي - ﷺ - لا مع المنافقين .
أي كونوا على مذهب الصادقين وسبيلهم .

وقيل: هم الانبياء، أي كونوا معهم بالاعمال الصالحة في الجنة.

وقيل: هم المراد بقوله: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفِقَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]

وقيل: هم المهوفون بما عاهدوا، وذلك لقوله تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣]

وتقيل: هم المهاجرون، لقول أبي بكر يوم السقيفة إن الله سمانا الصادقين فقال:
 ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
 وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحشر: ٨]

ثم سماكم بالمفلحين فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ
 وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ
 شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر: ٩]

وقيل: هم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم. قال " ابن العربي " :

"وهذا القول هو الحقيقة والغاية التي إليها المنتهى فإن هذه الصفة يرتفع بها النفاق
 في العقيدة والمخالفة في الفعل، وصاحبها يقال له الصديق كأبي بكر وعمر وعثمان ومن
 دونهم على منازلهم وأزمانهم. وأما من قال: إنهم المراد بآية البقرة فهو معظم الصدق ويتبعه
 الأقل وهو معنى آية الأحزاب .

وهو قوله تعالى :- ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ
 يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٤]

وأما تفسير أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - فهو الذي يعم الأقوال كلها فإن
 جميع الصفات فيهم موجودة.

وهو الذي ذكرناه آنفا حيث قال يوم السقيفة إن الله سمانا الصادقين فقال تعالى
 : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحشر: ٨]

فالذي فهم عن الله وعقل عنه أن يلزم الصدق في الأقوال، والإخلاص في الأعمال،
 والصفاء في الأحوال، فمن كان كذلك لحق بالأبصار ووصل إلى رضا الغفار، قال - صلى الله عليه وسلم - :

" عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال
 الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب فإن الكذب
 يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ليكذب ويتحرى الكذب حتى
 يكتب عند الله كذابا " (١).

وقد رد - صلى الله عليه وسلم - شهادة رجل في كذبة كذبها .

قال معمر: لا أدري أكذب على الله أو أكذب على رسوله أو أكذب على أحد من الناس

وسئل " شريك بن عبد الله " ف قيل له: يا أبا عبد الله، رجل سمعته يكذب متعمداً فهل أصلي خلفه؟ قال لا.

وعن " ابن مسعود -رضى الله عنهما - قال: إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزن ، ولا أن يعد أحدكم شيئاً ثم لا ينجزه، أقرأوا إن شئتم " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين "هل ترون في الكذب رخصة؟ وقال مالك :
لا يقبل خبر الكاذب في حديث الناس وإن صدق في حديث رسول الله - ﷺ - .
وقال غيره: يقبل حديثه .

والصحيح أن الكاذب لا تقبل شهادته ولا خبَره لما ذكرناه، فإن القبول مرتبة عظيمة وولاية شريفة لا تكون إلا لمن كملت خصاله ولا خصلة هي أشرم من الكذب فهي تعزُّ الولايات وتبطل الشهادات . فالمراد من الآية أيضا : راقبوا الله في جميع أقوالكم وأفعالكم ، وكونوا مع أهل الصدق واليقين ، الذين صدقوا في الدين نبيه ، وقولاً وعملاً وفي تفسير " المراعى " : " يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله اتقوا الله ، وراقبوه بأداء فرائضة ، واجتناب نواهيه ، وكونوا في الدنيا من أهل ولايته ، وطاعته تكونوا في الآخرة مع الصادقين في الجنة ، ولا تكونوا مع المنافقين الذين يتنصلون من ذنوبهم بالكذب ويؤيدونه بالحلف ولا رخصة في الكذب الا لضرورة من خديعة حرب ، أو إصلاح بين اثنين أو رجل يحدث امرأته ليرضيها ، يعنى في التحبب إليها بوصف محاسنها ورضاه عنها ، لا في مصالح الدار والعيال وغيرها " .

أخرجه ابن أبى شبيه وأحمد عن أسماء بنت يزيد -رضى الله عنها - عن النبى - ﷺ - قال : " كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب في خديعة حرب أو إصلاح بين اثنين أو رجل يحدث امرأته ليرضيها " .

ولا ريب في أن المعارض ما يغنى العاقل عن الكذب كما جاء فى الحديث : " إن فى المعارض لمنذوحة عن الكذب " . (١)

1- التفسير المزاعى ج ٤ ، ص ٤٣ وما بعدها .

◆ الطبرى .

◆ الكشاف للزمخشرى .

◆ القرطبى ج ٥ ، ص ٣١٢٧ وما بعدها .

◆ حاشية الشهاب على البيضاوى ج ٤ ، ص ٣٧٤ .

◆ تفسير السفى ج ١ ، ص ٥٢٣ - ٥٢٤ ط . دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان سنة ١٤١٥ هـ ،

١٩٩٥ م .

◆ فى ظلال القرآن الكريم للامام سيد قطب .

وفى معنى الصدق يقول الحق- سبحانه وتعالى - : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِّي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَشَّ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رُودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة يوسف: ٥١] والخطب هو الشأن العظيم الذى يقع فيه التخاطب إما لغرابته ، وإما لإنكاره ، ومنه قوله- سبحانه وتعالى- حكاية عم سيدنا إبراهيم - عليه السلام - : " قال فما خطبكم أيها المرسلون " .

وتقوم موسى - عليه السلام- : " فما خطبك يا سمري " .

يعنى إن الرسول بعد أن أبلغ الملك قول " يوسف " : " انه لا يخرج من السجن حتى إستجابة دعوته حتى يحقق قصة النبوة جمعهم وسألهم : " ما خطبكن الذى حملكم على مراودته عن نفسه : هل كان عن ميل منه إليكن ؟ وهل رأيتم منه مودةً وإستجابة بعدها؟ وماذا كان السبب فى إلقائه فى السجن مع المجرمين ؟ .

قلن ما عاذ الله ما علمنا عليه من سوء يشينه ، ولا فعل يعيبه لا من قريب ولا من بعيد ، ولا قليل ولا كثير .

فقالت امرأة العزيز: " ظهر الحق بعد أن كان خفياً ، وقد ظهر فى جانب واحد لا خفاء فيه ، وهن قد شهدن بما علمن شهادة نفى ، وهأنذا أشهد على نفسى شهادة إيجاب .
﴿...قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رُودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة يوسف: ٥١]

فإن يوسف - عليه السلام - قد استعصم وأعرض عنى ، وإنه لمن الصادقين فى قوله حين قال : " هى راودتنى عن نفسى " ، والذى دعاها الى هذا الاعتراف مكافأة يوسف على ما فعله من رعاية حقها ، وتعظيم جانبها ، وإنفاذ أمرها حيث قال : " ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن " ولم يعرض لشأنها البتة وفى هذا الاعتراف شهادة مريحة من امرأة العزيز ببراءة يوسف من كل الذنوب وطهارته من كل العيوب .

وفى الظلال : يقول فى معنى هذه الآية : " ومن هذا نعلم شيئاً مما دار فى حفل الاستقبال فى بيت الوزير؛ ما قالته النسوة ليوسف وما لَمَحْن به وأشرن إليه ، من الإغراء الذى يبلغ درجة المراوغة . ومن هذا نتخيل صورة لهذه الأوساط ونسائها حتى فى ذلك العهد الموعل فى التاريخ . فالجاهلية دائماً هي الجاهلية .

إنه حيثما كان الترف ، وكانت القصور والحاشية ، كان التخلل والتميع والفجور الناعم الذي يرتدي ثياب الأرستقراطية! . وفي مثل هذه المواجهة بالاتهام في حضرة الملك ، يبدو أنه لم يكن هنالك مجال للإنكار : { قلن : حاش لله ! ما علمنا عليه من سوء } ! وهي الحقيقة التي يصعب إنكارها . ولومن مثل هؤلاء النسوة . فقد كان أمر يوسف إذن من النصاعة والوضوح بحيث لا يقوم فيه جدال . وهنا تتقدم المرأة المحبة ليوسف ، التي يئست منه ، ولكنها لا تستطيع أن تخلص من تعلقها به . تتقدم لتقول كل شيء في صراحة : " قالت امرأة العزيز : الآن حصص الحق . أنا راودته عن نفسه . وإنه لمن الصادقين . . الآن حصص الحق وظهر ظهوراً واضحاً لا يحتمل الخفاء .
أجل .

قد تكون هناك أعداراً لمن يشعرون بوسواس الحرص ، أو الخوف عندما يقفون في ميادين التضحية والفداء ولكنه لا عذر البتة لمن يتخذون الكذب خلقاً ويعيشون به على خديعة الناس ، قال رسول الله - ﷺ - :

" يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب " ويقول النبي - ﷺ - :
" رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيْانِي قَالَا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْقُ شِدْقَهُ فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ بِالْكَذْبَةِ تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " (١) .
وفي الحديث : " قال رسول الله - ﷺ - : " ثلاثة لا يدخلون الجنة : الشيخ الزني ، والإمام الكذاب ، والعائل المزمو " (٢) : أى الفقير المتكبر .

ويدخل في نطاق هذا الكذب تلك الاقترافات التي يبتدعها الجهال وأقحموها في دين الله بيد أنها لهو ولعب . (٣)

ومن معاني الصدق ما نجده في قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [سورة الكهف: ٢٩]

1- اخرجه البخارى .

2- رواه البندار .

3- تفسير المراغى ، ج ٤ ، ص ١٥٨ .

□ فى ظلال القرآن الكريم ج ، ص ١٩٩٥ .

□ الكشاف للزمخشري .

□ حاشية الشهاب على البيضاوى .

□ تفسير الجلالين .

والمعنى: قل أيها الرسول لأولئك الذين أغفلنا قلوبهم عن الذكر، واتبعوا أهواءهم هذا الذي أوحى إلي هو الحق من عند ربكم، وهو الذي يجب عليكم اتباعه، والعمل به، فمن شاء أن يؤمن به ويدخل في غمار المؤمنين، ولا يتعلل بما يصلح أن يكون مقدرة له فليفعل، ومن شاء أن يكفر به، وينبذ وراء ظهره، فأمره، إلى الله، وليست بطارد لأجل أهوائكم من كان للحق متبعاً، وبالله وبما أنزل علي مؤمناً. وإنني في غنى عن متابعتكم وإنني لا أبالي بكم، ولا بإيمانكم وأمر ذلك إليكم، ويبد الله التوفيق والخذلان، والهوى والظلال، وهولا ينتفع بإيمان المؤمنين، ولا يضره كفر الكافرين مثل ما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 7] ويقول المفسرون في معنى هذه الآية ظاهره: أمر، وحقيقة وعيد وإنذار. يعنى: قل يا محمد - ﷺ - لهؤلاء الغافلين، لقد ظهر الحق بتوضيح الرحمن فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فأكفروا، وذلك مثل قوله تعالى في آية أخرى: ﴿...أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ...﴾ [سورة فصلت: ٤٠]

وقد هيأنا للكافرين بالله ورسوله نارا حامية شديدة، أحاط بهم سورها مثل إحاطة السوار بمعصم الحسنة، وإن استغاثوا من شدة العطش فطلبوا الماء أغيثوا بماء لكنه شديد الحرارة مثل النحاس المذاب، أو كعكر الزيت المحمى يشوى وجوههم إذا قرب منهم وذلك من شدة حرة.

وفى الحديث :-

" ماء كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فرة وجهه فيه "

يعنى سقطت جلدة وجهه فيه .

نعوذ بالله من جهنم (١).

بئس ذلك الشراب الذى يقاتون به وساءت جهنم منزلاً ونقيلاً يرفق به أهل النار ويقول " القرطبي " فى معنى هذه الآية :

" قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس ! من ربكم الحق فإليه التوفيق والخذلان، ويده الهدى والضلال، يهدى من يشاء فيؤمن ويضل من يشاء فيكفر، ليس إلى من ذلك شئ، فالله يؤتى الحق من يشاء وإن كان ضعيفاً، ويحرمه من

يشاء وإن كان قوياً غنياً، ولست بطارد المؤمنين لهواكم، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا. وليس هذا بترخيص وتخيري بين الإيمان والكفر وإنما هو عيد وتهديد.

أي إن كفرتم فقد أعد لكم النار، وإن آمنتم فلکم الجنة.

وقد اعدنا للكافرين الجاحدين ناراً أحاط بهم سرادقها.

يقول " الجوهري " : السرادق هو أحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار. وكل

بيت من كرسف فهو سرادق، والكرسف هو القطن ، يقول الشاعر رئية :

يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد عليك ممدود

وقال سلامة بن جندل :

هو المدخل النعمان بيتا سماؤه صدور الفيول بعد بيت مسردق

ويقول " ابن الاعرابي " : " سرادقها " يعنى سورها.

وعن " ابن عباس - " رضى الله عنهما - : حائط من نار.

وتقيل: هودخان يحيط بالكفار يوم القيامة، وهو الذى ذكره الله تعالى في قوله :

﴿ أَنْظِرُوا إِلَىٰ ذٰلِ ذٰلِكَ شُعْبٌ ﴾ [سورة المرسلات: ٣٠] وقوله: ﴿ وَظَلٍ مِّنْ يَّحْمُومٍ ﴾ [سورة

الواقعة: ٤٣]

وتقيل: إنه البحر المحيط بالدنيا. ورى يعلى بن أمية قال قال رسول

الله - ﷺ -: " البحر هوجهنم - ثم تلا - ناراً أحاط بهم سرادقها " - ثم قال - والله لا أدخلها أبدا ما دمت حيا ولا يصيبني منها قطرة .

عن " أبى سعيد الخدرى " عن النبي - ﷺ - قال :

" لسرادق النار أربع جدر كتف كل جدار مسيرة أربعين سنة ."

وتقيل : وهذا يدل على أن السرادق ما يعلو الكفار من دخان أونار، وجدره ما وصف.

قوله تعالى : ﴿... وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا بُعَاثُوا يَمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ... ﴾ [سورة الكهف: ٢٩]

قال " ابن عباس - " رضى الله عنهما - : المهل ماء غليظ مثل درى الزيت . ومثله قول الله

- عز وجل -: ﴿... وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۗ ﴾ [سورة محمد: ١٥]

والإسلام يحرص ، ويوصى بأن تغرس فضيلة الصدق في المؤمنين جميعا وخاصة في

نفوس الناشئة ، والأطفال حتى يشبوا عليها ، ويعتادونها ويتخلقون بها .

فعن " عبد الله بن عامر " قال : " دعنتني أُمِّي يومًا ورسول الله - ﷺ - قاعد في بيتنا ، فقالت : تعال هَاك أعطيك فقال لها رسول الله - ﷺ - : وما أردت أن تعطيه ؟ قالت : تمرًا .

فقال لها رسول الله - ﷺ - : أما إنك لو لم تعطه شيئاً كُذِّبَت عليك كذبة " (١) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ :

" مَنْ قَالَ لَصَبِيٍّ تَعَالَ هَاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذِبَةٌ " (٢) .

فأنظر كيف يعلم رسول الله - ﷺ - الأمهات والآباء تربية أولادهم حتى ينشأوا

على الصدق ، وتجنب الكذب .

قال - ﷺ - : " الصدق منجاة ، ولو كانت فيه الهلكة " يعني : ولو ظن أن

في الصدق هلاكه فهو منجاة له .

وقال رسول الله - ﷺ - : " ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم

فيكذب ، ويل له ، ويل له " (٣) .

وقد قال رسول الله - ﷺ - : " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا

عبد فقولوا : " عبد الله ورسوله " .

وعن أبي هريرة - رضی اللہ عنہ - قال : " أمرنا رسول الله - ﷺ - أن نحثوا في

وجوه الداحين التراب " (٤) .

والمقصود هؤلاء الذين اتخذوا المديح للمادحين ، والاستجداء ، والتكسب . فيمدحون

الناس بما ليس فيهم تزيفاً ونفاقاً ، وابتغاء عرض دنيوى دنئ ، أما الذى يصف الرجل بما

هو أهل له فليس ذائلاً فى هؤلاء حيث إنه صادق ، ومن الواجب أن نمدح المخلصين

الصادقين الاوفياء لنشجعهم على الخير ونفعله والاستمرار فيه ، وحتى يقتدى بهم غيرهم .

فعن " أبى بكر " قال :- " أن رجلاً ذكر عند النبي - ﷺ - : فأثنى عليه رجل خيراً

فقال النبي - ﷺ - : (ويحك قطعت عنق صاحبك - يقوله مراراً - إن كان أحدكم مادحاً

لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك والله حسيبه ولا يركي على الله

أحداً) (٥) .

1- رواه ابوداود .

2- رواه أحمد .

3- رواه الترمذى .

4- رواه الترمذى .

5- رواه البخارى .

ومن الآيات القرآنية الكريمة التي تمتدح الصدق، والصادقين قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا﴾ [سورة مريم: ٥٠] وقوله- سبحانه وتعالى-: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم: ٥٦]

فأنظر أخى المسلم، وأختى المسلمة إلى قول الحق - سبحانه وتعالى - في سيدنا " إبراهيم " - عليه السلام- إنه كان صديقاً نبياً، فهي مبالغة في كونه صادقاً، وهو الذى يكون عادته الصدق، لأن هذا البناء ينبئ عن ذلك، وهو الذى يكون كثير الصدق في الحق حتى يصير مشهوراً به معروفاً، لأن المصدق بالشيء لا يوصف بكونه " صديقاً " إلا إذا كان صادقاً في ذلك التصديق.

فالمؤمنون بالله ورسله صادقون في ذلك التصديق، والنبى - ﷺ -: يجب أن يكون صادقاً في كل ما أخبر به، وأخبر عنه، لأن الله - سبحانه وتعالى - صدقه، ومصدق الله صادق، وإلا لزم الكذب في كلام الله تعالى فيلزم من هذا كون الرسول صادقاً في كل ما يقول، ولأن الرسل شهداء الله على الناس على ما قال الله - سبحانه وتعالى - .

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء: ٤١]

والشهاد إنما يقبل قوله إذا لم يكن كاذباً.

أما قوله - سبحانه وتعالى- في سيدنا إبراهيم - عليه السلام- ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا...﴾ [سورة الأنبياء: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [سورة الصافات: ٨٩] ليس كذبا.

فقوله تعالى " بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا " سخرية واستهزاء بهم حيث إن الأصنام لا تفعل، ولا تنفع، ولا تضر.

ويقول " ابن كثير " - رحمه الله تعالى - : " قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا " .

يعنى الصنم الذى تركه ولم يكسر، فسألوهم إن كانوا ينطقون، وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم، فيعترفوا أنهم لا ينطقون، فإن هذا لا يصدر عن هذا الصنم، لأنه جماد .

وفي الصحيحين من حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله - ﷺ - قال: "إن إبراهيم، عليه السلام، لم يكذب غير ثلاث: إثنيتين في ذات الله، قوله: " قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا " وقوله: "إِنِّي سَقِيمٌ" .

قال: "وبينا هويسير في أرض جبار من الجبابرة ومعه سارة، إذ نزل منزلاً فأتى الجبار رجل، فقال: إنه قد نزل بأرضك رجل معه امرأة أحسن الناس، فأرسل إليه فجاء . فقال: ما هذه المرأة منك ؟

قال: هي أختي .

قال: فاذهب فأرسل بها إليّ، فانطلق إلى سارة .

فقال: إن هذا الجبار سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فإنك أختي في كتاب الله، وأنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك، فانطلق بها إبراهيم - عليه السلام - ثم قام يصلي . فلما أن دخلت عليه فرأها أهوى إليها، فتناولها، فأخذ أخذاً شديداً .

فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت له فأرسل، فأهوى إليها، فتناولها فأخذ بمثلها أو أشد . ففعل ذلك الثالثة فأخذ، مثل المرتين الأولين .

فقال: ادعي الله فلا أضرك. فدعت له فأرسل، ثم دعا أدنى حجابيه .

فقال: إنك لم تأتني بإنسان، وإنما أتيتني بشيطان، أخرجها وأعطها هاجر فأخرجت وأعطيت هاجر، فأقبلت، فلما أحس إبراهيم بجيئها انفتل من صلاته قال: مَهَيْمٌ؟ قالت: كفى الله الكافر الفاجر، وأحدمني هاجر .

قال محمد بن سيرين وكان: أبوهريرة إذا حدث بهذا الحديث قال: فتلك أمكم يا بني ماء السماء .

وقوله " كان صديقا " . يعنى : - عليه السلام - من أول وجوده إلى انتهاءه موصوفاً بالصدق والأمانة. وهذه الأصنام " لا تسمع، ولا تبصر، ولا تغنى عنك شيئاً .

ويقول بعض المفسرين في معنى هذه الآية :

" وأذكر يا محمد - ﷺ - في الكتاب العزيز " خليل الرحمن " إبراهيم - عليه السلام - إنه كان ملازماً للصدق ومبالغاً فيه جامعاً بين الصديقية والنبوة، والغرض من هذا تنبيه العرب إلى فضل سيدنا " إبراهيم " الذى يزعمون الانتساب إليه ثم بعد ذلك يعبدون الأصنام ولاوثان مع إنه إمام الحنفاء، وقد جاء بالتوحيد الصافى الذى دعاهم إليه خاتم المرسلين .

ويقول الحق- سبحانه وتعالى- في معنى الصدق: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [سورة مريم: ٥٠]

يعنى : أعطينا الجميع وهم " إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، " كل الخير الدينى والدنيوى من المال والولد ، والعلم والعمل ، وجعلنا لهم ذكراً حسناً في الناس ، لأن جميع أهل الملل ، والأديان يثنون عليهم لما لهم من الخصال المرضية ويصلون على إبراهيم - عليه السلام - وعلى آله إلى قيام الساعة .

ويقول الامام " الطبرى " : " أى رزقناهم الثناء الحسن ، والذكر الجميل فى الناس .

ويواصل القرآن الكريم فى الحديث عن فضيلة الصدق ، وامتداحه إياه فيقول

سبحانه : - ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم: ٤١] .

والمراد : " واذكريا محمد - ﷺ - فى الكتاب الجليل خبر " إدريس " إنه كان ملازماً للصدق فى جميع أحواله ، وموحى إليه من الله - سبحانه وتعالى - .

ويقول المفسرين إن " إدريس " هو " جد " سيدنا " نوح " - عليهما السلام - وأول

مرسل بعد " آدم " - عليه السلام - . وهو أول من خط بالقلم وليس " المخيط " وكانوا من قبل يلبسون الجلود ، وقد أنزل الله تعالى عليه " ثلاثين صحيفة " .

ذينكم الصدق فى القول ، والعمل ، وهو الذى تحلى به الأنبياء والمرسلين ، وهم قدوة

حسنة لنا فمن واجب المسلم والمسلمة الاقتداء بهؤلاء الهداة الذين يعدون قدوة حسنة

لأممهم وشعوبهم حتى تسود فضيلة الصدق وينمحى الكذب الذى يؤدى إلى الفجور ،

والفجور يؤدى إلى النار وفوق ذلك يستمرى المرء الكذب ويتمادى فيه حتى يكتب عند الله

كذابا . أما فضيلة الصدق فإن المسلم إذا اعتادها يظل متمسكا بها حتى يستمر عليها

فيصدق فى قوله ، وعمله ، حتى يكتب عند الله صديقا . اللهم اجعلنا من الذين يصدقونك

قولا ، وعملا ، حتى ترضى عنا ونفوز بسعادة الدارين آمين .

وقال تعالى فى سيدنا " إسماعيل " - عليه السلام - : ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ

كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم: ٥٤]

يعنى : كان صادق الوعد اذ وعد من نفسه لصبر على ذبح أبيه ، وصبر على ذلك إلى

أن ظهر الفداء .

وصدق الوعد لأنه حفظ العهد .

وقوله : ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم: ٤١] .

فالصديق كثير الصدق ، لا يشوب صدقه مذق يعنى لا تشوب صدقه شائنه فهو صدق خالص لا يخالطه زيف ولا كذب ، ويكون قائماً بالحق للحق ، ولا يكون فيه نفس لغير الله .

ويتمدح القرآن هذه الخصلة في أكثر من سورة ، وأكثر من آية في كتابه العزيز ، فيقول في موطن اخر من كتاب الله : ﴿ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (٨٤) ﴿ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ (٨٥) [سورة الشعراء: ٨٤: ٨٥] والمعنى : واجعل لي ذكراً حسناً ، وثناء عاطراً فيمن يأتى بعدى إلى يوم القيامة ، أذكر به ، ويقضى بى . يقول أهل العلم : " وفي الآية دليل على استحباب كسب الذكر الجميل اذ هو الحياة الثانية ، وأنشدوا : قد مات قوم وهم في الناس أحياء ويقول " ابن عباس - " رضى الله عنهما - :
" هو اجتماع الأمم عليه ، فكل أمة تتمسك به وتعظمه .

ويقول الله - عز وجل - في الصدق : ﴿ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (٨٤) ﴿ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ (٨٥) [سورة الشعراء: ٨٤: ٨٥] وهى دعوة تدفعه اليها الرغبة في الامتداد لا بالنسب ، ولكن بالعقيدة فهو يطلب إلى ربه أن يجعل له فيمن يأتون أخيراً لسان صدق يدعوهم إلى الحق ويرهم إلى الحنيفية السمحاء ، وهى " دين إبراهيم " - عليه السلام - .

ولعلها هى دعوته في موضع آخر ، اذ يرفع قواعد البيت الحرام هو ابنه " إسماعيل " - عليه السلام - ثم يقول : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٢٨) ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة البقرة: ١٢٨ ، ١٢٩] وقد استجاب الله له ، وحقق دعوته ، وجعل له لسان صدق في الاخرين وبعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم .

وكانت الاستجابة بعد آلاف السنين ، وهى في علاف الناس أمد طويل وهى عند الله أجل معلوم تقتضى حكمته أن تتحقق الدعوة المستجابة فيه .

ويقول " ابن كثير " - رحمه الله تعالى - : " يعنى الثناء الحسن " .

ويقول " مجاهد " - رضى الله عنه - : " كقوله تعالى : " ... وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ... " ،

ومثل قوله تعالى: " ...وَأَتَيْنَتْهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا ... " ، وأنعم عليَّ في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدى ، وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم^(١) .
ويقول الله سبحانه فى معنى الصدق : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٣]
والمعنى : فليعلمن الله الذين صدقوا فى دعوى الإيمان ممن هو كاذب فى قوله ، ودعواه ، والله - سبحانه وتعالى - يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة ، وبهذا يقول " ابن عباس " - رضى الله عنهما - وغيره فى مثل قوله " الا لنعلم " إلا لنرى .
وذلك لأن الرئية إنما تتعلق بالموجود ، والعلم أعم من الرئية ، فإنه يتعلق بالمعدوم والموجود .

والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء ، ولكن الابتلاء يكشف فى عالم الواقع ما هو مكتشف لعلم الله . مغيب عن علم البشر ، فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا مجرد ما يعلمه - سبحانه وتعالى - من أمرهم .
وهو فضل من الله من جانب وعدل من جانب آخر ، وتربية للناس من جانب ، فلا يأخذوا أحداً إلا بما استعلن من أمره ، وبما حققه فعله ، فليسوا بأعلم من الله بحقيقته قلبه . ويقول بعض المفسرين فى معنى هذه الآية :
" ولقد أخبرنا ، وامتحننا من سبقهم بأنواع التكليف ، والمصائب والمحن .

يقول " البيضاوى " : " والمعنى أن ذلك سنة قديمة جارية فى الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافه ﴿... فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٣] .
فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقاً حالياً يتميز به الذين صدقوا فى الإيمان والذين كذبوا فيه

1- تفسير ابن كثير ج ٣ ، ص ١٨٢ ، ص ٣٣٨ .

□ تفسير الطبرى ج ١٦ ، ص ٩٣ .

□ البحر المحيط ج ٦ ، ص ٦٩٩ .

□ مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ، ص ٤٥٦ .

□ حاشية الصاوى على الجلالين ج ٣ ، ص ١٧٥ .

□ تفسير القرطبى ج ١٣ ، ص ١١٤ .

□ تفسير الطبرى ج ١٩ ، ص ٥٥ .

□ فى ظلال القرآن الكريم للامام الشهيد سيد قطب ج ٥ ، ص ٢٦٠٤ .

□ مفاتيح الغيب للرازى ج ١٠ ، ص ٤٦٤ وما بعدها .

□ لطائف الاشارات ج ٢ ، ص ٤٣٣ .

وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى ويميزن أو يجازين ، أي وليعرفنهم الله الناساً وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها . وعبر عن الصادقين بلفظ " الفعل " "الذين صدقوا" ، وعن الكاذبين " باسم الفاعل " وذلك للإشارة إلى أن الكاذبين وصفهم مستمر، وأن الكذب راسخ فيهم بخلاف الصادقين فإن الفصل يفيد التحدد والحدوث .

ويقول الامام " الفخر الرازي " ، " إن اسم الفاعل فائدة مع أن الاختلاف في اللفظ أدل على الفصاحة ، وهي أن اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ أمره، وفلان نافذ الأمر فإنه لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ، ومن اسم الفاعل يفهم ذلك إذا ثبت هذا فنقول وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريني العهد بالإسلام في أوائل إيجاب التكليف وعن قوم مستديمين للكفر مستمرين عليه فقال في حق المؤمنين .

ويقول الله - عز وجل - فى معنى الصدق: ﴿لَسَّ لَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٨] ومعناه ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء الصادقين عن تبليغهم الرسالة إلى قومهم . يقول " الصاوى " : " والحكمة في سؤال الرسل مع علمه تعالى بصدقهم هو: التقيح للكافرين يوم القيامة ، وتبكيتهم .

ويقول " القرطبي " : " وفي الآية تنبيه على أن الأنبياء يسألون ، فكيف بمن سواهم؟ وقال مجاهد أيضاً : " ليسأل الصادقين " ، أراد المؤدين عن الرسل . . وسؤال الرسل تبكيت للكافرين بهم ، كما قال تعالى لعيسى - عليه السلام - :

" أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله " وقال تعالى : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٦] أن الله أكد على الأنبياء الدعاء إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين . ﴿...وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٨]

يعنى : وأعد الله للكافرين عذاباً مؤلماً موجعاً ، وذلك بسبب كفرهم وإعراضهم عن قبول الحق والصادقون هم المؤمنون .

فهم الذين قالوا كلمة الصدق ، واعتنقوا عقيدة الصدق ، ومن مواهم فهو كاذب ، لأنه يعتقد بالباطل ، ويقول كلمة الباطل ، ومن ثم كل كان هذا الوصف دلالة وإحاطة ،

وسؤالهم عن صدقهم يوم القيامة كما يسأل المعلم التلميذ النجيب الناجح عن إجابته التي استحق بها النجاح والتفوق ، أمام المدعويين لحفل النتائج ، وهو سؤال التكريم ، وللإعلان على رئيس الأَشهاد وبيان الاستحقاق ، والثناء على المستحقين للتكريم في يوم الحشر العظيم .

فأما غير الصادقين الذين دانوا بعقيدة الباطل ، وقالوا كلمة الكذب في أكبر قضية يقال فيها الصدق ، أو يقال فيها الكذب " قضية العقيدة " .

فأما هؤلاء فلهم جزء آخر حاضر مهياً لهم ، ينتظرهم وهو المعنى والمقصود في قوله - سبحانه وتعالى - :

﴿ لَسْئَلُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٨) [الأحزاب: ٨]

ويقول الله تعالى في معنى الصدق أيضا :- ﴿ مَنِ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿ [سورة الأحزاب: ٢٤: ٢٥]

والمعنى : ولقد كان من أولئك المؤمنين رجال صادقون ، نذروا أنفسهم إذا أدركوا حربا مع رسول الله - ﷺ - ثبتوا ، وقاتلوا حتى ينالوا ثواب الشهادة في سبيل الله ، ومرضاة الرسول - ﷺ - . فمنهم من وفي نذره، وعهده حتى نال الشهادة في سبيل الله مثل "أنس بن النضير" و" حمزة" - رضی الله عن الصحابة أجمعين - .

ومنهم من ينتظر الشهادة في سبيل الله ، وما غيروا عهدهم ، وما بدلوا نياتهم ، ليجزى الله الصادقين بسبب صدقهم ، وحسن صنيعهم أحسن الجزاء في الآخرة ، ويعذب المنافقين الناقضين للعهد إن الله واسع المغفرة ، رحيمًا بعباده .

يقول " ابن كثير " - رحمه الله تعالى - : " ولما كانت رحمته ورأفته تبارك وتعالى هي الغالبة لغضبه ، حتم بها الآية الكريمة . وبالتأمل في هذه الآية نجد أن الله - عز وجل - بين لنا صفات المجاهد في سبيل الله .

وهي :-

أولا ، الإيمان . فقال تعالى " مَنِ الْمُؤْمِنِينَ "

ثانيا ، الرجولة . حيث قال - سبحانه وتعالى - : " رِجَالٌ "

ثالثا ، الصدق في تنفيذ العهد .

فقال تعالى : " صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ " .

فمنهم من وفي وقضى نحبه واستشهد في سبيله - سبحانه وتعالى - ومنهم من ينتظر أن يلقي الله شهيداً ، وما بدلوا عهدهم ، وما غيروا نياتهم فلذلك نالوا الأجر الجزيل من الله تعالى في الدنيا بالسيرة العطرة ، والأسوة الحسنة ، وفي الدار الآخرة الفوز بجنان تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وحسنت مرتفقا .

ويقول الامام " الفخر الرازي " - : " والآية إشارة إلى وفائهم بعهدهم الذي عاهدوا الله أنهم لا يفارقون نبيه إلا بالموت فمنهم من قضى نحبه أي قاتل حتى قتل فوفى بنذره والنحب النذر ومنهم من هوبعد في القتال ينتظر الشهادة وفاءً بالعهد وما بدلوا تبديلاً بخلاف المنافقين ، فإنهم قالوا : لا نولي الأديبار فبدلوا قولهم وولوا أديبارهم ، وقوله : " لِيَجْزِيََ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ "

أي بصدق ما وعدهم في الدنيا والآخرة كما صدقوا مواعيدهم ويعذب المنافقين الذين كذبوا واخلفوا الله ما وعدوه .

وقوله : " والله إن شاء " ذلك فيمنعهم من الإيمان أو يتوب عليهم إن أراد وإنما قال ذلك حيث لم يكن قد حصل يأس النبي - عليه الصلاة والسلام - عن إيمانهم وأمن بعد ذلك ناس منهم وقوله : " اللَّهُ كَانَ غَفُورًا "

حيث ستر ذنوبهم و"رَحِيمًا " حيث رحمهم ورتقهم الإيمان فيكون هذا فيمن آمن بعده أوفقال تعالى : " وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ " مع أنه كان غفوراً رحيماً لكثرة ذنوبهم وقوة جرمهم ولو كان دون ذلك لغفر لهم ثم بين بعض ما جازهم الله به على صدقهم . ثم يبين الله - عز وجل - بعض ما جزهم الله لصدقهم .

فقال : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٥]

أي مع غيظهم لم يشفوا صدراً ولم يحققوا أمراً .
{ وكفى الله المؤمنين القتال } أي لم يحوجهم إلى قتال " وكان الله قوياً " غير محتاج إلى قتالهم عزيزاً قادراً على استئصال الكفار وإذلالهم .

هذا جزء الصدق وثواب الصادقين ، فهم مثلٌ علياً ، وبماذج من طُرزٍ فريد (١) .

1 - التفسير الكبير ج ١٢ ، ص ٥٨٥ بتصرف .

□ مختصر ابن كثير ج ٣ ، ص ٨٨ بتصرف .

□ حاشية الصاوي ج ٣ ، ص ٢٧٠ .

□ مختصر ابن كثير ج ٣ ، ص ٨٩ بتصرف .

□ صفوة التفسير للصابوني ج ٢ ، ص ٥٢١ بتصرف .

ويقول الله - عز وجل - في معنى الصدق أيضا: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣٤: ٣٥] والمعنى: وأما الذين جاءوا بالصدق وهم الأنبياء، والذين صدقوا به وهم المؤمنون أتباع الرسل، فهؤلاء المصدقون بهذه الصفات هم المتقون، أهل التقوى والصلاح الذين يستحقون كل إحسان وإكرام. هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات الحميدة لهم ما يشاءون عند ربهم في الآخرة من حور عين، وقصور ونعيم مقيم إلى غير ذلك من ألوان الملمات وصفوف النعيم، حيث إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على فكر بشر. قال تعالى: ﴿وَيَبِشِّرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥] وقال تعالى: ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظُلْمًا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [سورة الرعد: ٣٥] وذلك جزء الصادقين والمحسنين.

ويقول بعض المفسرين: "الذي جاء بالصدق هو" محمد - ﷺ -، وصدق به "أبو بكر" - رضى الله عنه -، وهذا مرعى عن مجاهد وقرادة، ويقول السدى هو: جبريل - عليه السلام -، والصحيح والراجح أن الآية عامة في الانبياء والرسل والمؤمنين، فهي عامة حتى يشترك في هذه الصفة كل الرسل الكرام، وكل من دعا إلى هذا الصدق عن عقيدة وإيمان من أتباع الرسل - عليهم السلام -، ويدل عليه قوله - سبحانه وتعالى -: "أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ".

ولذلك نرى قوله - سبحانه وتعالى -: "هُمُ الْمُتَّقُونَ" أنت بصيغة الجمع.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: "وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ" قال: من جاء بلا إله إلا الله، "وَصَدَّقَ بِهِ" يعني: رسول الله - ﷺ - وعن مجاهد أنه قال: والذي جاء بالصدق وصدق به، قال: "أصحاب القرآن المؤمنون يحيئون يوم القيامة فيقولون هذا ما أعطيتمونا فعملنا فيه بما أمرتمونا ويشمل كل المؤمنين فإن المؤمنين يقولون الحق ويعملون به والرسول - ﷺ - أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير فإنه جاء بالصدق، وصدق المرسلين، وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه، ورسله وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:

" والذي جاء بالصدق " هو رسول الله - ﷺ - " وصدق به " قال المسلمون " أولئك هم المتقون " .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : اتقوا الشرك .

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ...﴾ يعني في الجنة مهما طلبوا وجدوا ، ﴿...ذَلِكَ جَزَاءُ

﴿ [سورة الزمر: ٣٥]

كما قال - عز وجل - في الآية الأخرى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَّجِرُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَحْسَنِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الأحقاف: ١٦] (١) .

فالاسلام يحث ويحض المسلم على الصدق في جميع أقواله وأفعاله فإن الحيف في الشهادة مثلاً يعد من أشنع ألوان الكذب ، فمن الواجب على المسلم أن يصدق في الشهادة ولو كان ذلك على أدنى الناس منه قرابة ، وأحبهم إليه لا تميل به قرابة ، ولا عصبية ، ولا رغبة ولا رهبة . فتزكية المرشحين مثلاً لعضوية مجلس الشورى أو مجلس الشعب ، أو منصب من المناصب العامة يعد لونا من ألوان الشهادة ، فالذى ينتخب المغموط في كفايته ، وأمانته ، فقد كذب وزير ولم يقم بالقسط والعدل ، كما أن التقارير التى يكتبها أى مسئول مثل التقارير التى تكتب فى الأشخاص الذين يتقدمون لشغل درجات علمية ، أو مناصب قيادية كالقضاء والنيابة والكلديات العسكرية ، وهى شهادة يسأل عنها امام الله يوم القيامة إذا ما زير فى تقريره ، وكتب له أشياء لا يملكها المتقدم لشغل هذا المنصب كما نرى فى عصرنا هذا . يقوم بكتابة تقرير يثبت فيه أن هذا المتقدم يملك حياة لأكثر من عشرين فدانا ، أو حظيرة خيول ، وعقارات ، وعمارات وهو لا يملك من حطام الدنيا شيئاً . فتلك الأمور تزيرو حيف وجور وظلم لأنه بذلك التقرير ربما يشغل مقعداً كان من الواجب أن يشغله غيره ، فبالتقارير الظالمة يقع الجور والظلم وهو منافٍ للصدق الذى يجب أن يتخلق به المؤمن .

قال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِأَلْقُسُطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٥]

1 - تفسير ابن كثير ج ٤ ، ص ٣٥ - ٥٤ .

□ صفوة التفاسير للصابوني ج ٣ ، ص ٧٩ - ٨٠ .

وعن أبي بكر - رضي الله عنه - قال : " قال رسول الله - ﷺ - :
 " أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ .
 ثَلَاثًا . قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ « الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ .
 وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ « أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ » .
 قَالَ فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ (١) .

إن التزيير كذب كثيف الظلمات . إنه لا يكتم الحق فحسب ، بل يحقه ليثبت مكانه الباطل ، وخطره على الأفراد في القضايا الخاصة ، وخطرة على الأمم في القضايا العامة شديد مُبِيد .

ومن ثم خوَف رسول الله - ﷺ - منه على هذا النحو الصارخ ، وعلى أرباب الحرف والصناعات ، أن يجعلوا من كلمتهم قانونا مرعى الجانب يقضون عنده ، ويستمسكون به ، فإنه لمن المؤسف أن تكون الوعود المخلفة ، والحدود المائعة عادة مأثورة عن كثير من المسلمين ، مع أن دينهم جعل الوعود الكاذبة أمارة النفاق . وقد كان رسول الله - ﷺ - يقدس الكلمة التي يقول ، ويحترم الكلمة التي يسمع ، وكان ذلك شارة الرجولة الكاملة فيه ، حتى قَبِلَ أن يُرسل إلى الناس .

فمن " عبد الله بن أبي الحساء " قال : " بايعت النبي - ﷺ - ببيع قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية فوعده أن آتية بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه .

فقال : " يا فتى لقد شققت علي أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك " (٢) .

وحدث أن الرسول ، وعد جابر بن عبد الله بعتاء ، فقال جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -

« لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَفَدَّ أُعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا ثَلَاثًا . » .

فَلَمْ يَفْدَمْ مَالُ الْبَحْرَيْنِ حَتَّى فُيْضَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ - دَيْنٌ أَوْ عِدَّةٌ فَلْيَأْتِنِي .

قَالَ جَابِرٌ فَجِئْتُ أَبَا بَكْرٍ ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ « لَوْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أُعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا ثَلَاثًا . » . قَالَ فَأَعْطَانِي .

1- رواه البخارى .

2- رواه ابوداود .

قَالَ جَابِرٌ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَسَأَلْتُهُ ، فَلَمْ يُعْطِنِ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَلَمْ يُعْطِنِ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَالثَّلَاثَةَ فَلَمْ يُعْطِنِ ، فَقُلْتُ لَهُ قَدْ أَتَيْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِ ، ثُمَّ أَتَيْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِ ، ثُمَّ أَتَيْتُكَ فَلَمْ تُعْطِنِي ، فِيمَا أَنْ تُعْطِنِي ، وَإِمَّا أَنْ تَبْخُلَ عَنِّي .

فَقَالَ أَقُلْتَ تَبْخُلَ عَنِّي وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ - قَالَهَا ثَلَاثًا - مَا مَنَعْتُكَ مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيكَ .

وَعَنْ عَمْرٍو عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ جِئْتُهُ ، فَقَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ عُدَّهَا .

فَعَدَّدْتُهَا فَوَجَدْتُهَا خَمْسَمِائَةَ ، فَقَالَ خُذْ مِثْلَهَا مَرَّتَيْنِ . أطرافه (١) .

أنظر أخى المسلم كيف توزن الكلمة ، ويوجب تنفيذها حتى لا تذهب هباءً مع اللغو الضائع ، على أن الوعود الكاذبة ليست فقط كلاماً يذهب سدى ولكنها خرق للمصالح، وإضرار بالناس ، وإهدار للأوقات ، وليس صدق الوعد خلة نافهة ، إنها محمداً ذكرها الله - عز وجل - في مراتب النبوة قال تعالى : ﴿ وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٤ ﴾ وكان يأمر أهله، بالصلاة والزكاة وكان عند ربه، مرضياً ﴿ ٥٥ ﴾ [سورة مريم: ٥٤: ٥٥]

وسرد الصفات على هذا النحو والترتيب يدل على ما لصدق الوعد من مكانة ، ولقد كان " إسماعيل " - عليه السلام - أصدق الناس وعدا حين قال لأبيه : " ستجدنى إن شاء الله من الصابرين " .

لما قال له أبوه : ﴿ ...إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَاقِبِ أَنَّكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ... ﴾ [سورة الصافات: ١٠٢]

وقد يندفع الإنسان إلى الكذب حين يعتز عن خطأ وقع فيه ، ويحاول التملص من عواقبه ، وهذا غباء وهوان ، وهو فرار من الشر إلى مثله أو أشد والواجب أن يعترف الإنسان بغلظه ، فعلن صدقه في ذكر الواقع ، وألمسه لما بدر منه يمسخان هفوته ، ويغفران ذلته ، ومهما هجس في النفس من مخاوف - إذا قيل الحق - فالأجدر بالمسلم أن يتشجع ، وأن يتخرج من لوثات الكذب ، قال رسول الله - ﷺ - :

" تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فيه ، فإن فيه النجاة " (٢) .

1- رواه البخارى .

2- رواه ابن ابى الدنيا

وقال - ﷺ -: " إذا ما كذب العبد تباعد الملك عنه من نَتَنَ ما جاء به " (١) .

والصدق في الاقوال يتأدى بصاحبه إلى الصدق في الأعمال ، والصلاح في الأحوال ، فإن حرص الإنسان على التزام الحق فيما ينطق به يجعل ضياء الحق يسطع على قلبه ، وعلى فكره؛ ولذلك يقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَقَوْلُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠:٧١]

والعمل الصادق هو العمل الذي لا ريبه فيه لأنه وليد اليقين ، ولا هوى معه لأنه قرين الاخلاص ، ولا عوج عليه لأنه نبع من الحق ، ونجاح الأمم في أداء رسالتها يعود إلى جملة ما يقدمه بنوها من أعمال صادقة .

فإن كانت ثروتها من صدق العمل كبيرة ، سبقت سبقاً بعيداً ، ولا سقطت في عرض الطريق ، فإن التهريج واللغظ ، والادعاء والهزل ، لا تغنى قليلاً عن أحد .

وفي فضيلة الصدق يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الحجرات: ١٥]

والمعنى : إنما المؤمنون الصادقون في دعواهم الإيمان ، هم الذين صدقوا الله ورسوله ، فأقرروا الله بالوحدانية ولبرسوله بالرسالة وذلك عن يقين راسخ وإيمان كامل ، ثم لم يشكوا ، ولم يترزبوا في ايمانهم ، بل ثبتوا على التصديق واليقين ، وبذلوا أموالهم في سبيل الله ، وابتغاء رضوان الله تعالى .

فأولئك الذين صدقوا في إدعاء الإيمان ، وقد وصف الله تعالى المؤمنين الكاملين بثلاثة أوصاف وهي :

☒ الصفة الاولى : التصديق الجازم بالله .

☒ الصفة الثانية : عدم الشك والارتياب .

☒ الصفة الثالثة : الجهاد بالمال والنفس .

فمن جمع هذه الأوصاف فهو المؤمن الصادق .

يقول "ابن كثير": " إنما المؤمنون الكمل " الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا " .

أي لم يشكوا ولا تنزوا بل ثبتوا على حال واحدة هي التصديق المحض "وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله" أي وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه .
"أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ" .

أي في قولهم إذا قالوا إنهم مؤمنون لا كبعض الأعراب الذين ليس لهم من الإيمان إلا الكلمة الظاهرة .

وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال : إن النبي - ﷺ - قال : "المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء :

أولاً ، الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله .

ثانياً ، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم .

ثالثاً ، والذي إذا أشرف على طمع تركه لله عزوجل" .

وقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ... ﴾ [سورة الحجرات: ١٦]

أي أنخبرينه بما في ضمائرکم . " والله يعلم ما في السموات وما في الأرض" .

أي لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر .
 "والله بكل شيء عليم" .

ويقول الله تعالى : " يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ" . والمعنى : يبنون

عليك أن اسلموا ، ويعنى بذلك الأعراب الذين يبنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول - ﷺ - .

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم عشر مرات ، ست آيات في سورة " التوبة "

وآياتان في سورة " الفتح " ، وآية في " الحجرات " والعاشرية في سورة " الأحزاب " .

وقد أجمع المفسرون أن المراد بالأعراب هم سكان البوادي الذين يتفردون بالغلظة

وجفاء الطبع ، وفساوة الافئدة ، ولذلك لم يبعث الله فيهم نبيا ولا رسولا ، بل كانت البعثة في أهل القرى .

يقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحي إِلَيْهِمْ مِنْ

أَهْلِ الْقَرْيَةِ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ

الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة يوسف: ١٠٩]

وقال - ﷺ - : " من سكن البادية جفى " .

هؤلاء الإعراب الذين يبنون بإسلامهم ونصرهم على الرسول - ﷺ - فيقول الله رنا

عليهم . " قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ" .

فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم ، ولله المنة عليكم فيه ، بل الله يمين عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين في دعواكم مثل ما قال النبي - ﷺ - للأنصاريوم " حنين " :
 " يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضللاً فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي ؟ " .

فكلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمن .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءت بنو أسد إلى رسول الله - ﷺ - .

فقالوا : يا رسول الله أسلمنا وقتلتك العرب ولم نقاتلك .

فقال رسول الله - ﷺ - : " إن فقههم قليل ، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم " .
 فنزلت هذه الآية : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة الحجرات: ١٧]

فالمراد : أن هؤلاء يعدون إسلامهم منة على سيدنا محمد - ﷺ - يستوجبون عليها الحمد والثناء ، فقل لهم : " لا تمنوا عليّ إسلامكم " .

فإن نفع إسلامكم يعود عليكم ، ولله المنة العظمى عليكم ، وذلك بالهداية للإيمان ، والتثبيت عليه ، إن كنتم صادقين في دعوى الإيمان (١) .

ويقول الله في فضيلة الصدق :- ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ۗ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ ۗ ﴾ [سورة الحديد: ١٩]

والمعنى : تلك خاصية هذا الدين ، وميزته . إنه طريق مفتوح لجميع البشر وأفق يتطلع إليه الجميع ، ليس فيه احتكار للمقامات وليس فيه خصوصيات محجوزة لناس بأعينهم ، وليس إلا العمل يصعد بصاحبه إلى أرقى الدرجات ؟

إنه دين لا مجال فيه للطبقات المحفوظة المقام . فقد روى الامام " مالك " في " الموطأ " عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار : " قال : " إن أهل الجنة ليتروئن أهل الغرف من فوقهم كما تترؤن الكوكب الدرى الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم " . قالوا يا رسول الله : " تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم .

قال : " بلى ، والذي نفسى بيده رجال آمنوا بالله ، وصدقوا المرسلين " فهذه لمسة الإيمان .

1- تفسير ابن كثير ج ٤ ، ص ٢١٩ وما بعدها بتصرف .
 □ صفوة التفسير للصابوني ، ج ٣ ، ص ٢٣٨ بتصرف .

ويقول بعض المفسرين: "والذين آمنوا برسله إيماناً راسخاً كاملاً لا يخالجه شك ، ولا ارتياب أولئك الموصوفون بهذه الصفات هم الذين جمعوا أعلى المراتب فحازوا درجة الصديقية .

ويقول الله تعالى فى فضيلة الصدق :- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحشر: ٨]

والمعنى : يقول الله تعالى مبيناً حال الفقراء المستحقين مال الغنى والغنائم ، الذين خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضات الله ورضوانه .

هؤلاء هم الذين صدقوا قولهم بفعلهم ، وهؤلاء هم سادات المهاجرين (١) .

وهذه الآية تتعلق بالآية السابقة التى تحكى حكم الفئى كأنه يقول : " الفيء والغنائم لهؤلاء الفقراء المهاجرين الذين ألجأهم كفار مكة إلى الهجرة من أوطانهم ، فتركوا الديار والأموال ابتغاء مرضات الله ورضوانه وهم يقصدون بهجرتهم هذه إعلاء كلمة الله ونصرة دينه ، وتأيد رسول الله - ﷺ - فهؤلاء الموصوفون بهذه الصفات الحميدة هم الصادقون فى ايمانهم .

يقول " قتادة " - رضى الله عنه - هؤلاء المهاجرين الذين تركوا الديار والأموال والأهل والوطن حبا لله ورسوله ، حتى إن الرجل منهم كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع . هؤلاء هم الصادقون فى الإيمان الفارين بدينهم من الأوطان فى سبيل الله ونصرة دينه ، وتأيد نبيه - ﷺ - ذلك هو الصدق الحق فى القول والعمل ، فإن أفعالهم كانت دليلاً حاسماً على صدق ايمانهم ، وثبات عقيدتهم ورباطة جأشهم ، وتضحيتهم بكل غالٍ ومرتعص فى سبيل هذا الدين العظيم ، الذى عم الكون نوراً ، وأضاء الدنيا بالحق والعدل والخير ، والحب ، والصدق ، والجمال . إنه الإسلام (٢) .

1 - فى ظلال القرآن الكريم ، ج ٦ ، ص ٣٤٩٠ بتصرف .

□ تفسير البحر المحيط .

□ تفسير مختصر ابن كثير .

□ تفسير الخازن .

2 - تفسير القرطبي ج ١٨ ، ص ١٩ - ٢٠ بتصرف .

□ تفسير الخازن ج ٤ ، ص ٦٢ .

□ صفوة التفسير ج ٣ ، ص ٣٥١ بتصرف .

□ تفسير ابن كثير ج ٤ ، ص ٣٣٧ بتصرف .

□ خلق المسلم للمغفور له الشيخ محمد الغزالي ج ٣١ وما بعدها بتصرف .